الترميز الفكري في التعبير الفني للإنسان القديم

View article مقال

م. د. اثير لطيف كاظم
Atherlk907@gmail.com
وزارة التربية/ مديرية تربية بابل

الملخص

ظهر الرمز الفني منذ البدايات وجود الإنسان على الأرض، حيث أظهر الفرد ميلاً للتعبير عن نفسه من خلال الفن سواء كان ذلك من خلال الرسوم او التماثيل او الموسيقى وهذه الاعمال الفنية كانت تعبير عن الجوع او الخوف او الرغبة في الخلود كما استلهم الانسان الموسيقى من الطبيعة، وحيث تأثر بصوت الطيور والرياح وأوراق الأشجار، وبدأ في ابتكار ادوات بسيطة لإصدار الاصوات التي تناغم الاصوات الطبيعية حوله، وهذه المحاولات المبكرة تعكس رغبة الانسان في التعبير عن نفسه من خلال الرموز وعلاقته بالعالم من خلال البيئته المحيطة .

الكلمات المفتاحية: الترميز الفكري، الانسان القديم.

Search title is English

Intellectual coding in the Artistic expression of ancient man

Atheer lateef kadhlm

University Professor/Babylon Education Directorate

Abstract

Artistic symbolism has appeared since the beginning of human existence on Earth, as the individual showed a tendency to express himself through art, whether through drawings, statues, or music. These works of art were an expression of hunger, fear, or the desire for immortality. Man also drew inspiration for music from nature, as he was influenced by the sound of birds, winds, and tree leaves. He began to invent simple instruments to produce sounds that harmonized with the natural sounds around him. These early attempts reflect man's desire to

express himself through symbols and his relationship with the world through his surrounding environment.

Keywords: Intellectual coding, ancient man

الفصل الاول : المقدمة

ان الرمز الفني يعد وسيلة تعبيرية متعددة الاوجه، وتمكن الافراد من نقل افكارهم وتجاربهم ومشاعرهم ومحيطهم بطرق فنية متنوعة تشمل البصريات والصوتيات والحركيات . يمثل الفن وسيلة للتعبير عن الذات وعن الصراعات الداخلية وقد يستخدم ايضا لتلبية الاحتياجات الانسانية الاساسية . ويرى بعض النقاد والمفكرين ان الفن الرمزي يشكل ضرورة حيوية للإنسان في ذلك الزمان . شانه في ذلك شان الاحتياجات الاساسية الاخرى .حيث الفن هو موهبة فطرية وابداع يتمتع بها كل فرد بدرجات متفاوتة، الا ان الفنانين المبدعين هم الذين يبرزون بقدراتهم الفائقة على الابداع والتعبير، ويمكن القول ان الفن هو انتاج اشكال ورموز فنية ذات قيمة تعبيرية جمالية ويشمل مجموعة من المفاهيم مثل (المهارة، الحرفة، الخبرة، والابداع، والحدس، والمحاكاة) وهذا موجود في المراحل التلميذ الصف الاول الابتدائي من حيث التعبير الفني عنده غالباً ما يكون رمزي .

ويبدو من مسيرة التطور المجتمع الإنساني في ذلك الوقت هي ضمان بقاء الجماعة التي تسود فيها تلك الحضارة واستمرار رفاهيتها ومتى ما وفرت الحضارة الطعام والمسكن وحلت مشاكل الحصول على المواد الخام ولدت اعمال فنية وان كانت بطابع رمزي،حيث تواصل اغلب الحضارات القديمة من خلال التعبير الفني للانسان وان لكل حضارة طابعها وخصائصها الفنية التي تميزها وخضعت جميع الحضارات لعامل مشترك وهو كفاية المصادر الطبيعية التي هي وراء نشوء وتطور الحضارة (اوتيس، ديفيد وجوان، ١٩٨٨، ص٥)، وان هذه المصادر الطبيعية متصلة اتصال مباشر بالبقاء المادي للجماعة حيث ان من مميزات سلوك الإنسان قدرته على التفكير الرمزي أي قدرته على تخيل أشياء لا توجد في مجال حواسه وان هذه المسيرة تسمح للإنسان أن يصنع الأدوات وفق نظرية التطور على أساس من كون هذه الأدوات مأخوذة من الطبيعة المحيطة به وتسخيرها لتلبي حاجاته المستقبلية .وتتحدد مشكلة البحث في التساؤل التالي:

ماهي علاقة تواصل بين الرموز بين الماضي والحاضر ؟

ان إستعمال ظاهرة الرمز الفني تبدو من مظاهر الإحساس بالجمال وهي متغلبة في حياة الإنسان على مسار التاريخ الأمر الذي جعل من الإجابة على السؤال الخاص بمعنى الجمال أمراً ليس سهلاً سنستدل عليه من خلال الدراسات التاريخية الموجزة لنظريات الفلسفة الجمالية عبر العصور، فنجده مرة يحاكي الطبيعة ومرة أخرى يرمز لأشياء حوله برموز فنية تدل على

أشياء في ذهنه، وهناك من يرى ان الأشكال الفنية لا تقتصر تكوينها وفقاً لما تجده الخامات والأدوات بل ان وجودها وتحققها إنما يكون في ذلك الصراع الذي يقوم بين (القصد الفني الهادف وبين الظروف المادية والواقع) كما ان الفكرة المنهجية التي يأتي بها (هيغل) في مناقشته لديالكتيك الذهني والمادي والمنظور التعبيري ووسيلة الإرادة ومادتها تعتبر من المقومات الأساسية التي اعتمدها، وان هذه الاعتماد لم يكن ظاهرة فجائية بل سبقته مراحل اتصفت بتركيز جهد الإنسان لاستغلال إمكانات وموارد البيئة في محاولته للبقاء باختزال الأدوات والتوصل إلى بعض الفنون (حسين، عبد الرزاق،١٩٧٧ ، ص٧) التي كانت محاكية للطبيعة ومطابقة لها،اما التلميذ الوقت الحاضر فهو يحاكي في اعماله الفنية والرسم البيئة المحيطة مثلا رسم السيارة والطائرة .

على الرغم من اعتراف لوفي أو لونتشية بأسبقية النزعة المطابقة للطبيعة الا انهما يسعيان لتقليل من شان هذا الراي من خلال اظهار خصائص اسلوبية مميزة مثل المواجهة المباشرة، وغياب المنظور والعمق المكاني، واولويات الجماعية، وتكامل العناصر التصويرية بهذا يحاولان اظهار الفن الارخي Archic ويتجاوز التمثيل الواقعي للطبيعة ليكشف عن بنية جمالية فريدة ومستقلة . كما يحصل الان مع تلميذ المرحلة الابتدائية (الاول الابتدائي) فنجده يرسم الاشكال كما يحب ان يراها ويود توظيفها مثلا رسم نخلة بجانبها شخص طويل اليد ياكل من ثمارها حيث يفتقر للنسب الفنية والمنظور .

ولا تغادر الحقيقة اذا قلنا أن الأسلوب الفني والمتقن للغاية للصور التي رسمت في العصر الحجري القديم يدل على ان هذه الاعمال الفنية كانت من صنع فنانين محترفين وليس هواة هؤلاء الفنانون كانوا على درجة عالية من المهارة والتدريب، مما يشير الى وجود نضام تعليمي متقدم لتعلم الفنون في ذلك العصر، ان الرسوم والمخططات تشير الى احتمال وجود تخصصات فنية مختلفة وتقسيم العمل، حيث نجد تصويرا دقيقا للحيوانات في وضعيات متنوعة تعكس رؤية فنية عميقة ومتقنة للواقع (الجادر، وليد: دور التراث الفني في النهضة الحضارية،ص٢٥٣) كما ان حاجة الإنسان للدفئ والخوف من الحيوانات المفترسة والتقلبات الجوية الشديدة وتحت ضغط الكتل الثلجية التي اجتاحت بعض مناطق العالم القديم أدت الى ان يهجر الوديان ويلجأ الى الكهوف حيث وجد الإنسان وسط هذه الحياة القاسية الخشنة مجالاً لان يرسم رموز على جدران الكهوف كما موجود على جدران كهوف (التأمير) في شمال اسبانيا(ول ديورانت،قصة الحضارة، ١٩٦٥،ص٢١) شكل(١) ورسوم غزلان في كهوف فرنسا شكل(٢)، ومن ثم نشأت فكرة الفن التي نشأت من انتقائه للأدوات التي تخدم حاجاته المختلفة، ثم يعاد تشكيل هذه القطع لتلائم الحاجات الإنسانية وهو في وصفه لهذه الأدوات بهذا الشكل كان مقلداً لنماذج موجودة في الطبيعة اختبر فائدتها بالتجربة فقطعة الحجر التي أعاد تشكيها في صورة أداة تجنَّد

في خدمة الإنسان كما يشكل التلميذ الوقت الحالي من الصلصال اواني وبعض الحاجات المنزلية وبعض المجسمات التي تحاكي البيئة المحيطة به وبنظره تحقق جانب جمالي، وبينما فنان العصور القديمة فكانت جمالية القطعة الحجرية بما تحقق له اكبر قدر من الفائدة،ونجده أستخدم هذه الادوات ولونها بعصارة النباتات وتوظيف هذه المواد للتزيين،أي كان لديه رغبه فنيه جمالية،فاد الانسان من تلك الاشكال واخذ يحاكيها يرمز لها على جدران الكهوف، اما التلميذ الحالي فنجده يحبذ استخدام جميع انواع الالوان (الباستيل– اقلام الخشب – اقلام السبورة وغيرها) في تزيين الرحلة او الجدران الصف من خلال الجداريات او الرسمات المنفردة .

وقد تطور بعد ذلك الترميز عند الانسان فنجده استخدمه على جدران الكهوف اشكال مثلا طيور سليمه تمثل مختلف المعارك والصيد وهي من حياتهم اليومية ويتجلى فيها الخيال والإدراك القوي إذا ما قيست بقدمها حيث يرجع تاريخها الى (١٠٠٠٠ق.م)، ولازال التلميذ يستخدم الترميز للعديد من حاجاته مثلا اللعب التي يحبها يختار لونها كرمز وحقيبته يختارها بشكل دب او كتابه برمز غلافه بشكل محدد.

وان أهم أعمال الإنسان البدائي كانت تحت الأرض في غابات تتخللها الكهوف السكنية بعيدة عن منال الأعداء من الرجال والحيوانات والاعتماد على الصيد والقنص الذي يضمن الغذاء الوقتي له،وهكذا كان تعلقه بمعتقداته الرئيسية الأولية التي جعلته يألف بعض من هذه الحيوانات ويعتاد على قنصها لأجل الغذاء، ومن ثم صارت له علاقات حميمة تجعله يألف بعض من هذه الحيوانات فأصبح يبغي تقليد رسمها على جدران الكهوف (عبو، فرج :علم عناصر الفن، ١٩٨٢، ص٨٠٢)،إذ إن الفن بصورة مبسطة هو كل ما يجلب المتعة، وهذا ما يدفع الى الاعتراف بأن الأكل وشم الروائح الزكية ومختلف الأحاسيس المادية الأخرى يمكن ان تعتبر فنون

المراجع

١. اوتيس، ديفيد وجوان : نشوء الحضارة، ترجمة لطفي الخوري، نشر دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد، ١٩٨٨، ص٥ .

٢. الجادر، وليد: دور التراث الفني في النهضة الحضارية،مجلة كلية الاداب، ١٩٧٨، ص٢٥٣.

٣. حسين، عبد الرزاق : نشأت مدن العراق وتطورها، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٧ ، ص٧ .

٤. ديورانت، ول : قصة الحضارة، ترجمة د. زكي نجيب محمود، طبعه لجنة التأليف والنشر، ط٣، ج١، القاهرة، ١٩٦٥،ص٢١

٥.عبو، فرج :علم عناصر الفن، دار الالفين للنشر، ج٢، ميلانو، ايطاليا، ١٩٨٢، ص٨٠٢ .

الملاحق:

شكل(١) الثور المتوحش كهوف اسبانيا

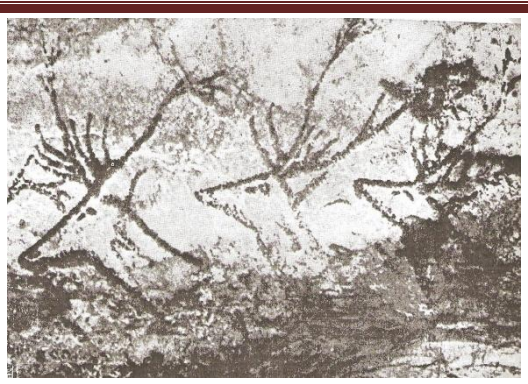

شكل(٢) رسوم غزلان كهوف فرنسا